ندوة للإمام الألمعى.. ونداء لشبابنا المصرى

د. عزت عبدالعظيم الطويل
أستاذ علم النفس
بكلية الآداب بجامعة بنها

تعتمد الدول والمجتمعات الإنسانية فى تقدمها ونهضتها وعلو شأنها على العلم ولا غرو فى ذلك، حيث إنه فى صدرالإسلام شرع المسلمون الأوائل فى طلب العلم والتثقيف وإعمال الفكر، فقد كان مفكروهم وعلماؤهم يسافرون من بلد إلى بلد ومن قطر إلى آخر ويسير الواحد منهم مئات الأميال فى سبيل التأكد من صحة حديث نبوى شريف أوالبحث عن شيخ فقيه مشهور يتتلمذ عليه وذلك من منطلق أن أمة الإسلام هى أمة «اقرأ» ولقد حدث ذلك لأئمة المسلمين الأربعة مالك وأبى حنيفة والشافعى وابن حنبل ،وكذلك التابعين والمجتهدين فى العلم وخدمة الإسلام والمسلمين والفتوحات الإسلامية.

هذا، ويُحكى أن «الإمام الشافعى» قد سمع يوما عن أحد الأئمة المشهود لهم بالكفاءة الفقهية والبحث والفحص العلمى الدقيق، ولاسيما فى إثبات الأدلة العقلية والنقلية فى كل المسائل الحياتية والمجتمعية فى الدين والدنيا ، وكان هذا الفقيه ذائع الصيت قد طبقت شهرته الآفاق، حيث كان يقيم ندوة دينية أسبوعية فى مدينة مجاورة وكان يهرع إليها الآلاف من الناس العاشقين للعلم والعلماء من كل حدب وصوب ، وكان موضوع الندوة فى تلك المرة يدور حول العلاقات الزوجية بوجه عام ، وصفات المرأة المسلمة بوجه خاص، مما جعل الحضور يضم القاصى والدانى، والشباب والكهول وهم الأكثر فى حلقة العلم كل فى مكانه المخصص له ، وليس هناك موضع لقدم .وهنا عقد الإمام الشافعى العزم على حضور هذه الندوة ، وكان رحمه الله فى سن الثالثة عشرة ، غلاماً ذكياً، حاضر البديهة، سريع الحفظ لما يقرؤه ، وذا قلب نورانى ، كانت لديه الرغبة المحمومة فى الحضور، ولكنه لم يستطع فى هذا المناخ العلمى الفقهى الزاخر، وأخذ يفكر فى حيلة تساعده على الدخول حتى ولوكان واقفاً فهداه تفكيره إلى أن يطلب بلطف من كل شخص يدخل هذه الندوة نوع السؤال الذى سيوجهه للفقيه الشيخ ، وإجابة السؤال عند خروجه.

وهنا حمى وطيس المناقشات والمساجلات عندما سأل أحد الحاضرين الشيخ قائلا : زوجتى أجمل من القمر ، هل بالضرورة أن يكون ذلك كذلك عند الزواج؟ فأجاب الشيخ قائلا : ليس بالضرورة أن تكون المرأة فى جمال القمر أو البدر ولن تكون ، فالقمر أكثر جمالاً وبهاءً وسناءً من المرأة، ولما سمع الإمام الشافعى هذه الإجابة من أحد الخارجين من الندوة قال له الإمام : ادخل إلى الفقيه مرة ثانية وقل له إن أحد الناس بالخارج يقول لك هذه إجابة قاصرة، فالمرأة أجمل من القمر حيث يقول الله فى كتابه الكريم:« لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم» (سورة التين٤) .وهنا توقف الشيخ ملياً يمعن النظر للرجل الذى أرسله الشافعى قائلا: ومن هوالذى بعثك بهذه الإجابة ؟ فأجابه : إنه غلامٌ يقال له محمد بن إدريس الشافعى ..... هكذا قال لى... فطلب الفقيه حضور الشافعى إلى مجلسه وأخذ يتفرّس فيه بإعجاب وفخر قائلاً له: من اليوم أنت جدير بالحضور فى مجلسى هذا وبالذات بجانبى أو قريبا منى وأتوقع لك مستقبلاً باهراً، وقبولا من الناس عظيماً.وبمرور الزمن، تحققت نبوءة الشيخ الفقيه للإمام الشافعى.

وهنا أتساءل: كم من شبابنا أو فتياتنا أو طلاب جامعاتنا «يرغبون» فى حضور بعض الندوات الدينية ؟ وكم منهم حاول أن يقرأ كتابا مفيداً خارج المقررات الجامعية ؟ ومن منهم لديه الرغبة فى حضور مجالس العلم والعلماء ؟

وفيصل القول أنه لوكانت هناك ندوة أدبية أو علمية أو سياسية فلن يُرى فيها إلا قلة قليلة من الحضور وتصبح الرغبة رهبة فى هذا المجال، أما شبابنا وفتياتنا فكل منهم ينظر إلى مثل هذه الندوات «خاسئاً وهو حسير» بينما إذا كانت هناك حفلة فى ملهى ليلى لراقصة مغمورة، لحضرها كثرة كثيرة من الشباب وهكذا ... أصبحنا فى زمن تغيّرت فيه القيم إلى الأسوأ .وبدلا من أن نكون أمة «اقرأ» ، أصبحنا أمة « العب» أو تأدبا وذوقا أمة «ارقص» ولله الأمر من قبل ومن بعد وهو المستعان.